

التفسير المختصر - سورة الشعراة (٢٦) - الدرس (١٥-١١) : تفسير الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧ ،
أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَانُوا يَوْعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْلِئُهُ
لِفَضْلِيَّةِ الْدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ رَاتِبِ النَّابِلِسِيِّ بِتَارِيخِ: ١٩٩٥-٠٨-٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا
إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا
الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول
فَبِيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الإخوة الكرام، الآية السادسة بعد المائتين في سورة الشعراة، كان الخليفة الراشد الذي يُعَذَّب
حقيقة خامس الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبد العزيز كان كُلَّما دخلَ إلى مكان تَسْبِيرِ الأمور
يتلو هذه الآية التي هي من أبلغ الآيات ؛ قال تعالى:
**﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يَوْعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يُمْتَنَعُونَ (٢٠٧)﴾**

[سورة الشعراة]

وهذه الآية تَصَلُّحُ أن يقرأها الإنسان على نفسه كُلَّ يوم إذا كان مُمْتَنِعًا في الحياة الدنيا، فهذه
المُمْتَنَعَة هل لها مَرْدُودٌ ؟ الجواب: لا فالإنسان إذا أراد أن يجلس في حوض سباحة وماء فاتر، لو
جلسَ في هذا الحَوْضِ عَشَرَاتِ الأَيَّامِ ؛ هل يُصْبِحُ طَبِيبًا ؟! هل يُؤْلِفُ كِتَابًا
؟! الْجَلْسَةُ مُمْتَنَعَةٌ فَلِمَاءُ الْفَاتِرِ يُرِيحُ الأَعْصَابَ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا اسْتَلَقَ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَخْذَ حَظَّهُ مِنِ
الْدُّنْيَا، وَإِذَا نَالَ كُلَّ حُطُوطِهِ كَامِلَةً ثُمَّ جَاءَهُ مَلْكُ الْمَوْتِ، قَالَ تَعَالَى:
**﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يَوْعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يُمْتَنَعُونَ (٢٠٧)﴾**

[سورة الشعراة]

أربعين أو خمسين سنة، وأحياناً تجد الواحد عمره تسعين سنة، ذو صحةٍ جيدةً ومسرور، وله
أندواف في الطعام والتزهّات نادرة، فهذا لو تمتَّعَ أَلْفَ سَنَةً ! قال تعالى:
**﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يَوْعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يُمْتَنَعُونَ (٢٠٧)﴾**

[سورة الشعراة]

فَسِيَّدُنَا عمر بن عبد العزيز الذي يُعَذَّبُ حَقًا خامس الخلفاء الراشدين كان يتلو هذه الآية كُلَّ يوم،
وَكُلَّما دخلَ إلى مكان عمله، وأنا لا أُسَمِّيهُ قَصْرًا، كُلَّما دخلَ إلى المكان الذي يُسَيِّرُ فيه أمور
رَاعِيَتِهِ يَتَّلَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعَنُونَ (٢٠٧)﴾

[سورة الشعراء]

أيّها الإخوة، يجب أن نعلم علم اليقين أن الفقر الحقيقي هو الفقر من العمل الصالح، وأن الغنى الحقيقي هو غنى العمل الصالح؛ يؤكد هذا قول الله عز وجل على لسان سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما سقى لهما وتولى إلى الظل، قال تعالى:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٤)﴾

[سورة القصص]

الخير أن تأخذ بيده إنسان إلى الله تعالى لأن حجمك عند الله يقدر عملك الصالح، قال تعالى:

﴿وَكُلُّ درَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)﴾

[سورة الأحقاف]

فلو أمضى الإنسان كل حياته يستمع ويتأثر، ويقول: والله كلام طيب وهذا كلام عميق، وكلام فيه صدق، ولو استمع ما شاء الله، ولم يخرج منه عملٌ يؤكّد فهمه لهذا الكتاب، ليس عند الله بشيء. مرّة ثانية أيّها الإخوة، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، وكلّما نمى صدقك وحبك ينمو معه عملك؛ لأن الإيمان ما إن يستقر في قلب الإنسان حتى يعبر عن ذاته بذاته من خلال عمل صالح، فدائماً هناك سؤال ينبغي أن يكون في ذهن كلّ مِنَا؛ ماذا قدمت للإسلام؟ أحياناً الإنسان يتعلم ويعلم، وأحياناً يساعد بماله، ويقوّيه، ينشئ مستشفى ويقدم معونة، يُسّهم في بناء مسجد، وطبع كتاب، يرعى أيتام، ويعين الضعفاء، وينتصر لمظلوم، دائماً أسأل نفسك هذا السؤال: ماذا قدمت للإسلام؟ كيف أقى الله

عز وجل؟ وما العمل الذي سيكون بين يديّ لما أقى الله؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(يا بشر لا صدقة ولا جهاد فِيمَ تُلقِي الله عز وجل؟)

لأن الله تعالى قال:

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُرِيبٍ (٥٤)﴾

[سورة سباء]

كل واحد له ترتيب في بيته وجلسه مريحة، وسرير مريح، وله كان في غرفة الجلوس، وحوله زوجته وأصحابه، وله أدوات، ولكن حينما يأتي ملك الموت حيل بينهم وبين ما يشتهون، ولو أنها مباحة ولو أنها مشروعة؛ يُحال بينك وبين الشهوات فجأة، وفي ثانية واحدة لا تتذكر بين هذه المفارقة العجيبة؟ من بيت مريح جداً إلى أحد مقابر دمشق! أربعة وعشرون سنة، وإكرام الميت ترحيله، يعودون إلى البيت وقد خلفوه تحت التراب، هذا مصيرنا جميعاً، ولا ينجو منه أحد، فكل العقل والحكمة في الإعداد لهذا القبر الذي هو صندوق العمل قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعَنُونَ (٢٠٧)﴾

[سورة الشعراء]

تمتع كما تُريد، سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قال:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعُلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْبُنِي وَبَنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)﴾

[سورة إبراهيم]

فربينا عز وجل قال ومن كفر، تمتع الإنسان بالحياة هل هو دليل رضي الله تعالى عليه؟ لا أبداً، فلا علاقة بهذا إطلاقاً، رضا الله تعالى منوط بطاعته، ومقياس رضي الله عنك طاعتكم له، قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعَنُونَ (٢٠٧)﴾

[سورة الشعراء]

فالإنسان إذا مال إلى الاسترخاء، عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به إلى اليمان قال:

((إِيَّاكَ وَالنَّعَمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَّعِمِينَ))

[رواه أحمد]

والمقصود بالتمتع هنا أن تقصدده وأن تجعله ديدنك، والهدف لك، لكن يمكن الله تعالى أن يجعل الدنيا كالجنة؛ راحة نفسية وطمأنينة وشعور بالفوز والرضا، وأن الله تعالى يحبك، لكن المؤمن في الدنيا يعمل كما قال سيدنا عمر: الليل والنهر يعملان فيك، فاعمل فيما، فكل واحد فيه بالحاسة السادسة قدرة؛ فلان عمره ثلاثون، وذلك أربعون من أين يأتي بهذه الأرقام؟ من ملامح الوجه والجسد، هذا فعل الليل والنهر.

أيها الإخوة الكرام، ورد في بعض الأدعية؛ لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله تعالى علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قرباً، فكل يوم لم تزدد فيه علماً وعملاً هو يوم خاسر ولو كان ربعته بذلك اليوم خمسائة ألف، لأن الإمام الحسن البصري يقول: ما من يوم ينتهي فجره إلا ومناد ينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزداد مني فإني لا أعود إلى يوم القيمة! وكان عليه الصلاة والسلام كلما استيقظ صباحاً يدعوا بهذا الدعاء، عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلَيْنِفَضُهُ بِصِنْفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَ فَإِذَا اضطَجَعَ فَلَيْقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنَّ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَأَرْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَ الصَّالِحِينَ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلَيْقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَنِي فِي جَسَدِي وَرَدَ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذْنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[رواه الترمذى]

هناك إنسان ينام، ومن النّوم إلى الموت، أحد النّساء لمسَت زوجها بالليل فإذا يدُه باردة فلما رأته فإذا به ميت ! أعطاك يوماً جديداً وعافاك فيه، وسمح لك أن تذكره، عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هُلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقَرَا مُنْسِيًّا أَوْ غَنِيًّا مُطْغِيًّا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَالَ فَشَرِّ غَابِبٍ يَنْتَظِرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ))

[رواه الترمذى]

مضى الأيام والشهور والسنوات والعقود، فهل الأيام نفسها ؟! سألت أحدهم فقال لي: هناك خمسين نعي يومياً بالشام، لذا اعلموا أنَّ ملَكَ الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذراً.

الدعاء الشريف: بادروا بالأعمال الصالحة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا... "المؤمن له آية خاصة، قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)﴾

[سورة التوبية]

شيء يُمْلَكُ، وشيء ثمين، لها ما كسبتُ وعليها ما اكتسبتُ، معنى ذلك أنَّ الزَّمَنَ لِصَالِحِ الْمُؤْمِنِ، ومضى الأيام والليالي لا يزيدُه إلا ثالقاً ولا يزيدُه إلا قرباً وعلماً، ولا يزيدُه إلا عملاً صالحاً، فإذا جاء الموتُ كان تحققَه وعرسَه، وانقلَ إلى نعيم مقيم، قال تعالى:

﴿قَيْلَ ادْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَّتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾

[سورة يس]

أنا أتحدثُ عن إنسانٍ شردَ عن الله، فهذا الشاردُ الأيام إلى ما شاء الله لي فيها مفاجآت ! هناك فقرٌ مُنْسِيٌّ، وكاد أن يكون الفقر كُفُراً، أو غنىًّا مُطْغِيًّا، وهناك غنىًّا عَدَّ النبي عليه الصلاة والسلام مُصيبة الغنى الذي يَحْمِلُكَ على مَعْصِيَةِ الله، وعلى الفُجُورِ، أنا أُعْرِفُ أشخاصاً كثيرين على الدَّخْلِ الْكَبِيرِ شَرَدوا وفَجَروا، وترکوا الصلاة وباتوا في النوادي الليلية ! أصبحَ دَخْلُه كبيراً !!! هذه مُصيبة، سبعةُ أشياء تقسيمُ الظَّهَرِ، وينتظرُها كل إنسانٍ شردَ عن الله تعالى، أما المؤمن فالزَّمَنَ لِصَالِحِهِ، أما غير المؤمن فله المفاجآت، فقرٌ مُنْسِيٌّ وغنىًّا مُطْغِيٌّ، مرضٌ مُفْسِدٌ، هرمٌ مُفْنِدٌ، وموتٌ مُجْهِزٌ، ودجالٌ والساعة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا، فالإنسان كُلُّما كان عاقلاً ذكرياً يعيشُ مُسْتَقْبَلَهُ، وكلما كان أقل عقلاً يعيشُ حاضرهُ، وكلما كان غبياً يعيشُ ماضيهِ، والبطولة أن نهيهُ أفسنتا لهذه الساعة، وهي شِعار سيدنا عبد الله بن عبد العزيز، قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَعَنَّاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعَنُونَ (٢٠٧)﴾

[سورة الشعراء]

لذلك قال سيدنا علي رضي الله عنه قال: والله لو علمتُ أنَّ عدَا أجلي ما قدرتُ أن أزيد في عملي ! المؤمن بهذه السرعة يمشي إلى الله صلاة وتلاوة وإنفاق وعمل صالح، وأمر بالمعروف،

وَنَهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، طَلَبُ الْعِلْمِ، وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ، بَابُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ مَفْتُوحٌ حَتَّىٰ أَنْ تَضَعَ اللُّقْمَةَ فِي
فِي زَوْجِكِ لَكَ بِهَا صَدَقَةٌ، وَأَنْ تُمْيِطَ الْأَذَى عَنِ الظَّرِيقَ هُوَ لَكَ صَدَقَةٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ